السيكولوجيا ورهانات التعريب في التعليم العالي (حالة المغرب)

Psychology and assets of the Arabisation in the Arab higher education (case of Morocco)

www.arabpsynet.com/Documents/DocAharchaouPsy&Arabisation.pdf

الغالـــي أحرشـــاو

شعبة علم النفس -كلية الآداب والعلوم الإنسانية - ظهر المهراز - فاس

قد لا نجانب الصواب عندما نصادر على أن قضية التعريب في المغرب هي أكثر من قضية لغوية فقط لأنها أصبحت ظاهرة اجتماعية تعبر في عمقها عن واقع اللغة في المجتمع المغربي بشتى مكوناته وعناصره وبمختلف قطاعاته ومجالاته. فهي قضية اجتماعية لسانية عميقة لا يمكن فك لغزها باتخاذ بعض التدابير أو القرارات الجزئية في مجال التكوين والتربية والإعلام، بل إن بداية حلها يكمن أساسا في مستوى الوعي بمدلولها وعواقبها وفي مقدار الإرادة والجدية في التعامل معها قصد معالجتها.

لقد ناقشنا في المغرب قضية التعريب منذ عقود، لكن في إطار يغلب عليه هاجس الحسم في مآل قضية أخرى أهم وأشمل، إنها قضية الهوية الثقافية والخصوصية الوطنية. وبفعل هذا الهاجس كانت حصيلة تعريب اللسان في الجامعة والإدارة هزيلة لأننا لم نصل إلى مستوى التحكم في عمق مشكل اللسان هذا وموقعه الحقيقي في قضايانا الوطنية. وإذا كنا لا نبغي من هذا التحديد اتخاذ اللغة كأساس لكل تقدم علمي وحضاري كما يحلو للبعض أن يصور لنا ذلك دون مبرر أو سند مقنع، فإن المقصود باللغة هي أنها مرآة تنعكس فيها الثقافة والحضارة. فمشكلها هو مشكل التخلف، بحيث لا يمكننا أن نتصور أي تقدم علمي أو حضاري في المغرب "في غياب حل جذري للمشكل اللغوي الذي ما نزال نعاني منه إلى اليوم " (العروي، 1983: 209).

وعلى هذا الأساس يجب التنبيه إلى أن اختيار " السيكولوجيا ورهانات التعريب في التعليم العالي بالمغرب " كموضوع لهذه المقالة، يشكل في تقديرنا الشخصي مناسبة طيبة لمقاربة أحد الجوانب الهامة من قضية التعريب عامة. إنه مناسبة طيبة للقيام بوقفة تأملية عند واقع تدريس علم النفس بالجامعة المغربية وعند الانعكاسات الإيجابية لهذا التدريس باللغة العربية، ومن ثمة إمكانيات استثمار هذه الأخيرة في تدريس العلوم الطبيعية التي ما تزال تلقن عندنا بلغة أجنبية.

لقد حققت تجربة تعريب العلوم الإنسانية، وخاصة تجربة تدريس علم النفس باللغة العربية منذ أوائل السبعينات من هذا القرن نتائج وتراكمات هامة تستلزم مثل هذه الوقفة التأملية التي نسعى من ورائها إلى رصد الملامح والتوجهات الأساسية لهذه التجربة ومدى إمكانية الاستفادة منها في مجال تعميم التعريب ليشمل العلوم التي ما تزال تدرس في الجامعات المغربية بلغات غير عربية. وفي سبيل توضيح هذا الأمر سندافع في هذه المقالة عن وجهة نظر تحكمها فكرة بسيطة قوامها أن تجربة تدريس علم النفس باللغة العربية في الجامعة المغربية تشكل نموذجا يمكن أن يحتذى في مجال تعريب العلوم الطبيعية. وهي الفكرة التي سنناقش مضامينها من خلال التركيز على النقاط الأربع التالية:

مقدمات لابد منها

وضعية تدريس علم النفس في الجامعة المغربية

أن قضية التعريب في المغرب هي أكثر من قضية لغوية فقط لأنها أصبحت ظاهرة اجتماعية تعبر في عمقها عن واقع اللغة في المجتمع المغربي بشتى مكوناته وعناصره وبمختلف قطاعاته ومجالاته

هي قضية اجتماعية لسانية عميقة لا يمكن فك لغزها باتخاذ بعض التدابير أو القرارات الجزئية في مجال التكوين والتربية والإعلام

1. مقدمـــــات لابـــد منهـــــا

لقد ناقشنا في المغرب قضية التعريب منذ عقود، لكن في إطار يغلب عليه هاجس الحسم في مآل قضية أخرى أهم وأشمل، إنها قضية الهوية الثقافية والخصوصية الوطنية

قبل الحديث عن تجربة تدريس علم النفس باللغة العربية في الجامعة المغربية وعن مدى إمكانية استثمار إيجابيات هذه التجربة في تدريس العلوم الطبيعية نرى ضرورة التمهيد لذلك بأربع مقدمات أساسية:

1.1. **الأولى** تتعلق بتحديد المقصود بكلمة تعريب. فرغم أن مضامين هذه الكلمة قد تتعدد وتتنوع إلى درجة يلتبس معها مدلولها، فإن تعاريفها المختلفة لا تنفلت لأحد المفهومين التاليين (الفاسي الفهري، 1988، ص:158-160):

فإما أن تتحدد في تطويع وضع اللغة الداخلي من حيث خصائص نظامها والوسائل التي توفرها لاستقبال الألفاظ أو المعاني أو التقنيات الأجنبية أثناء الترجمة والحَوْسَبة والقراءة البصرية.

وإما أن تتحدد في إعادة النظر في وضع اللغة الخارجي قصد إحلالها محل لغة أجنبية داخل التعليم والإدارة والاقتصاد وذلك ضمن خطة للتعريب الشامل.

وإذا كانت مواقف المهتمين بقضية التعريب تتوزع عندنا على هذين المفهومين بدرجات متفاوتة فإن المؤكد هو أن التعريب الذي يجب الدفاع عنه هو التعريب الثقافي أو الفكري أو العلمي الذي لا يقف عند حدود تعريب المصطلح أو إدخال اللغة العربية في قطاع تهيمن عليه اللغة الأجنبية (الفاسي الفهري، 1998، ص: 160-161). إنه ذلك التعريب الذي يراد به من جهة تجاوز الانفصام بين اللغة والفكر وبين الاستهلاك والإنتاج، ومن جهة أخرى اتخاذ اللغة العربية لغة التواصل الرسمي في جميع ميادين الحياة ولغة تلقين المعارف وتدريس العلوم في مختلف مستويات التعليم ولغة الإبداع في شتى القطاعات والمجالات.

إن المقصود باللغة هي أنها مرآة تنعكس فيها الثقافة والحضارة. فمشكلها هو مشكل التخلف

2.1. **الثانية** هي أن الدعوة إلى تعريب شامل لجميع مجالات وتخصصات التعليم العالي لا يجب أن تفهم في إطار الانغلاق أو الانطواء على الذات، بل هي دعوة نعتبرها قاعدة صلبة للتفاعل الدينامي المأمول مع باقي الثقافات واللغات الأخرى. فعلى الرغم من أن أغلب المجتمعات البشرية تعمل بمنطق التفاعل الثقافي المحكوم بقاعدة الأخذ والعطاء، إلا أن كل واحد منها يسعى إلى تحقيق مناعته والحفاظ على خصوصيته كعربون على مساهمته المتميزة في الحضارة الإنسانية. والحقيقة أن لغة كل مجتمع من هذه المجتمعات تظل هي الأداة الناجعة لتعامله مع الحياة بشتى مجالاتها الثقافية والفكرية والعلمية. وبالتالي فإن الدعوة إلى اتخاذ العربية كلغة لتدريس العلوم الطبيعية في الجامعة المغربية يجب أن ينظر إليها في إطار هذا التحديد. فهي لا تعني رفض اللغات الأجنبية ومعاداتها، بل على العكس من ذلك هي طريق إلى التعامل معها بكيفية عقلانية وحسب ما تقتضيه عملية دمقرطة التفكير العلمي وإشاعته بين أغلب فئات المجتمع المغربي. وهذه مسألة لها ما يترجمها في مجمل تجارب الدول المتقدمة (اليابان، أنجلترا، الولايات المتحدة الأمريكية، ألمانيا...إلخ) التي جعلت من لغاتها الوطنية الأدوات الفعلية للتعلم والابتكار والتواصل وإنتاج المعرفة.

لا يمكننا أن نتصور أي تقدم علمي أو حضاري في المغرب "في غياب حل جذري للمشكل اللغوي الذي ما نزال نعاني منه إلى اليوم

3.1. **الثالثة** تتجلى في كون أن المغرب عرف تجربتين مريرتين في مجال التعريب. الأولى تمثلت في أنه غداة الاستقلال انطلق تعريب مرتجل بدأ بالطور الابتدائي دون استراتيجية واضحة ولا أهداف محددة تأخذ بعين الاعتبار مستلزمات التهييء والإعداد للطور الثاني. وهكذا وكما يعلم الجميع فإن التلاميذ المعربين الذين تخرجوا آنذاك من الابتدائي قد تعذر عليهم أمر الحصول على

أماكن في الثانوي غير المعرب. وهذا ما دفع بالكثير من المغاربة إلى الشك في فعالية اللغة العربية وقدرتها على مجاراة اللغات الأجنبية، بحيث أن القليل من هؤلاء هم الذين كانوا يدركون بأن العجز لا علاقة له باللغة بل بالارتجال والتسرع في العمل بتعريب يفتقر إلى المنهجية والاستراتيجية الدقيقتين. أما المرحلة الثانية فقد تجلت في خلاصات ندوة المعمورة المشهورة التي أكدت على ضرورة الأخذ بمبدإ التعريب المتدرج الذي يفسح المجال من جديد للغة العربية لتصبح أداة التدريس في الطورين الأول والثاني. وهكذا انطلقت عملية تكوين الأطر المعربة في مختلف شعب العلوم حتى نهاية الطور الثاني، وهي الأطر التي ستمارس تدريس مختلف العلوم حتى حصول التلميذ على شهادة الباكلوريا. لكن المسؤولين على التعليم في هذه المرحلة فاتهم التفكير في تهيئة الأطر اللازمة لاستمرارية تجربة التعريب هاته في التعليم العالي. وهذا ما أصبح معه مشكل المتخرجين من السلك الثانوي يثقل كاهل التعليم الجامعي بالمغرب، حيث كثير هم التلاميذ الذين نجدهم يتعثرون أو يتوقفون عن الدراسة في الجامعات نتيجة هذا الارتجال في تعريب المواد العلمية بالسلكين الإعدادي والثانوي والإبقاء على تدريسها بلغة أجنبية غالبا ما لا يتقنها هؤلاء في التعليم العالي (ابن عبد الله، 1997، ص:50-55).

هذه الوقفة التأملية التي نسعى من ورائها إلى رصد الملامح والتوجهات الأساسية لهذه التجربة ومدى إمكانية الاستفادة منها في مجال تعميم التعريب ليشمل العلوم التي ما تزال تدرس في الجامعات المغربية بلغات غير عربية

2. وضعية تدريس علم النفس في الجامعة المغربية

يستلزم الحديث عن وضعية تدريس علم النفس في الجامعة المغربية التوقف عند مسألتين جوهريتين: الأولى تتعلق بتاريخية علم النفس بالمغرب، والثانية ترتبط بمقومات التدريس والبحث.

1.2. تاريخية علم النفس

تاريخيا، يمكن إجمال واقع علم النفس بالمغرب في مرحلتين اثنتين:

– الأولى تُنعت بمرحلة ما قبل علم النفس الجامعي التي تشمل فترة الاستعمار بكاملها وتَتَمَدّد لتغطي أكثر من عقد من الزمن في فترة الاستقلال (ربيع، 1998، ص:76). وإن هذه المرحلة التي كان حضور علم النفس يتمظهر فيها بكيفية محتشمة في الميدان التربوي والتعليمي لا تهمنا في هذا النطاق نظرا إلى أن الجامعة المغربية التي لم يتم إنشاؤها إلا بعد الاستقلال لم تكن تضم في تخصصاتها إلى حدود أواخر الستينات تخصصا يسمى بعلم النفس.

– الثانية يصطلح عليها بالمرحلة الجامعية أو مرحلة الانطلاق الحقيقي لعلم النفس بالمغرب. فخلال هذه المرحلة سيعرف علم النفس تغيرات وتحولات جوهرية كلها تسير في اتجاه فرض وجوده كتخصص قائم الذات في الجامعة المغربية. فرغم أن استقلاليته لم تتحقق إلا منذ أوائل القرن الحالي، نظرا لارتباطه العضوي بالفلسفة وعلم الاجتماع في شعبة واحدة، إلا أن تغييرات كبيرة حدثت على مستوى برامجه ومناهجه وأطره منذ انطلاقه في أوائل السبعينات من القرن العشرين. فعلى مستوى المؤسسات الجامعية التي تعتمد علم النفس كواحد من تخصصاتها، نجد أن كليات الآداب والعلوم الإنسانية بفاس والرباط والمحمدية وكلية علوم التربية والمدارس العليا للأساتذة والمراكز التربوية الجهوية، كلها مؤسسات تسير وتعمل في هذا الاتجاه الذي يرسخ ويقوي وجود علم النفس بالمغرب. وعلى مستوى أطر التكوين والتأطير فيمكن التأكيد على أن هذه الأطر التي تلقت تكوينا عاما في علم النفس بذلت جهودا ذاتية لا يستهان بها في سبيل تفعيل هذا التكوين ثم إعداد أطروحات جامعية أغلبها خارج المغرب وبلغات أجنبية. ولا يفوتنا أن نشير في هذا المقام إلى أن هذه المرحلة التي عرفت انطلاق تجربة تدريس علم النفس باللغة العربية نتيجة تعريب كليات الآداب والعلوم الإنسانية في بداية السبعينات قد تميزت بعدة خصائص ومظاهر، يمكن إجمالها في ثلاث نقاط أساسية:

إن المؤكد هو أن التعريب الذي يجب الدفاع عنه هو التعريب الثقافي أو الفكري أو العلمي الذي لا يقف عند حدود تعريب المصطلح أو إدخال اللغة العربية في قطاع تهيمن عليه اللغة الأجنبية

إنه ذلك التعريب الذي يراد به من جهة تجاوز الانفصام بين اللغة والفكر وبين الاستهلاك والإنتاج

– الأولى تتجلى في المساهمة الفعالة لبعض الأساتذة المشارقة، وخصوصا المصريين والسوريين، في تدريس علم النفس بكليتي آداب الرباط وفاس منذ بداية السبعينات التي تشكل فترة بداية تعريبهما (ربيع، 1998، ص:84).

– الثانية تتعلق بالتقدم المطرد الذي يعرفه علم النفس على مستوى البحث والتأليف. فرغم كل الصعوبات والإكراهات المجتمعية والمعرفية فإن مستوى البحث والتأليف السيكولوجي يتطور عندنا في الاتجاه الإيجابي؛ إذ تشير بعض الإحصائيات إلى أن إنتاجنا في هذا النطاق وإن كان ما يزال ضئيلا بالمقارنة مع ما هو قائم في الدول المتقدمة إلا أنه أصبح يتضمن ما يقارب (500) عنوان موزعة بنسب متفاوتة بين الكتب القائمة الذات والأطروحات الجامعية والمقالات العلمية (أحرشاو، 1998، ص:89–111).

– الثالثة تتمثل في أن وضعية علم النفس في الجامعة المغربية لا تتميز بالاتساق والانسجام. وهذا أمر لا يبعث على أدنى قلق، بل على العكس من ذلك فهو يعتبر مؤشرا إيجابيا لأنه يجسد تنوع المرجعيات والمدارس التي ينهل منها المكونون المغاربة في علم النفس مفاهيمهم وتصوراتهم. وهو التنوع الذي يثمر بدون أدنى شك خطابا سيكولوجيا تحكمه توجهات وتيارات سيكولوجية تتراوح بين ما هو عربي وأمريكي وأوروبي (ربيع، 1998، ص:86–87).

2.2. مقومات التدريس والبحث

يرتكز التعليم الجامعي على المقومين الأساسيين التاليين: الأساتذة ثم البرامج والمناهج.

1.2.2. الأساتذة

منذ أن تم تعريب علم النفس بالجامعة المغربية ونخبة من الأساتذة تساهم في تدريس مواده المتنوعة وفي التأطير العلمي والإشراف على بحوث الطلبة الذين اختاروا متابعة دراساتهم الجامعية في تخصص علم النفس. ويمكننا أن نميز داخل هيأة التدريس التي تحملت عبء تلقين علم النفس باللغة العربية بين فئات أربع:

– بما أن المشرق العربي، وبخاصة مصر وسوريا، عرفت جامعاته ومعاهده تعريب علم النفس منذ عدة عقود، فإن تعريبه في المغرب قد استدعى بالضرورة الاستعانة بنخبة من الأساتذة ذوي الكفاءات العليا بغية الاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم في التدريس والتكوين والتأطير. والحقيقة أن هؤلاء ساهموا بفعالية كبيرة في تكوين أطر وطنية أصبحت حاليا تتحمل مسؤولية تدريس علم النفس باللغة العربية في كليتي آداب الرباط وفاس بشكل خاص.

– إلى جانب الأساتذة المشارقة كانت هناك فئة قليلة من الأساتذة المغاربة الذين تكونوا أصلا باللغات الأجنبية ومارسوا التدريس بها. إلا أنه بمجرد أن تم تعريب تدريس علم النفس لم يتردد هؤلاء في بذل مجهودات كبيرة من أجل المساهمة في هذه التجربة الجديدة. والواقع أنه لم تمض إلا مدة وجيزة حتى أصبحت هذه الفئة من الأساتذة متمكنة من التعليم باللغة العربية والتواصل بها. ولاشك أن امتلاكهم للغة العربية إلى جانب تمكنهم من اللغات الأجنبية قد انعكس إيجابا لا على تدريسهم للطلبة فحسب، بل حتى على إشرافهم العلمي المقتدر على عدد كبير من البحوث والأطروحات، الأمر الذي ساهم في تفعيل وتيرة البحث ومساره في الجامعة المغربية.

– تتكون الفئة الثالثة من الأساتذة الذين درسوا علم النفس باللغة العربية وأنجزوا أطروحاتهم الجامعية تحت إشراف بعض الأساتذة المشارقة والمغاربة على السواء. ولابد من الإشارة هنا إلى أن تحمل هذه الفئة مسؤولية التدريس والإشراف قد تطلب منها بذل مجهودات كبيرة للاطلاع على كل المستجدات في مجال البحث السيكولوجي المنجز أساسا بلغات أجنبية. وهذا ما استدعى منها قراءة

من جهة أخرى اتخاذ اللغة العربية لغة التواصل الرسمي في جميع ميادين الحياة ولغة تلقين المعارف وتدريس العلوم في مختلف مستويات التعليم ولغة الإبداع في شتى القطاعات والمجالات

أن الدعوة إلى تعريب شامل لجميع مجالات وتخصصات التعليم العالي لا يجب أن تفهم في إطار الانغلاق أو الانطواء على الذات

هي دعوة نعتبرها قاعدة صلبة للتفاعل الدينامي المأمول مع باقي الثقافات واللغات الأخرى

أهم المصادر والمراجع ثم التعامل مع أبرز المفاهيم والمصطلحات الواردة فيها، وذلك كله قصد تلقين الطلبة باللغة العربية مادة كتبت أصلا بلغات أجنبية.

– أما الفئة الرابعة فتضم الأساتذة الذين تابعوا دراساتهم العليا بإحدى الجامعات الأجنبية. ورغم أن تكوينهم العالي قد تم بلغات أجنبية، فإنهم قد تمكنوا بعد فترة وجيزة من التأقلم مع تدريس علم النفس باللغة العربية وبالتالي تجاوز كل الصعاب التي واجهتهم في بداية تجربتهم.

والجدير بالذكر هو أن هيأة تدريس علم النفس باللغة العربية أصبحت حاليا تتكون من الفئات الثلاث الأخيرة مما أدى إلى خلق مناخ علمي يتم فيه تبادل الخبرات والتجارب والآراء بخصوص ما تطرحه عملية تدريس علم النفس من صعوبات على مستوى المفاهيم والمصطلحات.

الحقيقة أن لغة كل مجتمع من هذه المجتمعات تظل هي الأداة الناجعة لتعامله مع الحياة بشتى مجالاتها الثقافية والفكرية والعلمية

2.2.2. البرامج والمناهج

يحتوي المنهاج الدراسي الذي يتم تلقينه لطلبة علم النفس على مجموعة من المواد منها ما هو وثيق الصلة بالعلوم الدقيقة ومنها ما يرتبط بالعلوم الاجتماعية. وبالرغم من أن الطالب الذي يلج هذا التخصص، يتلقى خلال السنة الأولى دروسا تجمع بين الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس، فإن اختياره لتخصص علم النفس ابتداء من السنة الأولى يسمح له باكتساب معارف سيكولوجية والاطلاع على مناهج وتقنيات حديثة ومتعددة. فهذا الاكتساب والاطلاع يستلزمان منه الرجوع باستمرار إلى مصادر ومراجع أجنبية؛ ولذلك فإن متابعته للدراسة باللغة العربية لا تغنيه من أن يكون ملما بلغة أجنبية واحدة على الأقل، مما يمكنه من قراءة النصوص وفهم المصطلحات والاستئناس باللغة السيكولوجية عربية كانت أم أجنبية.

العجز لا علاقة له باللغة بل بالارتجال والتسرع في العمل بتعريب يفتقر إلى المنهجية والاستراتيجية الدقيقتين

3. علـــم النفـــــس والعلـــــوم الدقيقـــة

من المعلوم تاريخيا أن علم النفس الحديث قد نشأ في أحضان العلوم الطبيعية وبخاصة البيولوجيا والفزيولوجيا كما ربطته علاقات عضوية مع الفيزياء والرياضيات، حيث استفاد من هذه العلوم على مستويات عديدة وخاصة النظرية والمنهجية والمفاهيمية. ومن المعلوم أيضا أن علم النفس تربطه علاقات متينة مع علم الاجتماع والانتروبولوجيا، حيث لا يمكن أن ننكر الاستفادة المتبادلة بينهما من ناحية تداول المصطلح. وكما عرف علم النفس أيضا خلال العقود الثلاثة الأخيرة طفرة تتمثل في ظهور وهيمنة الاتجاه المعرفي الذي يعتبر نقطة التقاء لمجموعة من العلوم المعاصرة كاللسانيات وعلوم الأعصاب والمعلوميات والمنطق وفلسفة الذهن...

أن الجامعة المغربية التي لم يتم إنشاؤها إلا بعد الاستقلال لم تكن تضم في تخصصاتها إلى حدود أواخر الستينات تخصصا يسمى بعلم النفس

إن ارتباط السيكولوجيا المعرفية بهذه العلوم وبغيرها قد استلزم من المدرسين ومن الباحثين الذين يلقنون برامج ومناهج علم النفس باللغة العربية الاطلاع على مضامين العلوم السالفة الذكر ومناهجها وتقنياتها ومصطلحاتها مما يدفعنا إلى القول بأن المتخصص في علم النفس يبذل مجهودات جبارة بحكم احتلاله لموقع يفرض عليه التعامل مع العلوم الآنفة الذكر.

ولكي ندرك مدى الارتباط العضوي بين علم النفس والعلوم الأخرى على مستوى المصطلح، ولكي نتلمس أيضا الجهد المبذول من طرف مدرس علم النفس لترجمتها نورد النماذج التالية:

A	
Abstraction	تجريد
Abstraction empirique	تجريد امبريقي

Abstraction réfléchissante	تجريد واعي
Accès au lexique	النفاذ إلى القاموس
Accommodation	تلاؤم
Acquisition	اكتساب
Activation	تفعيل
imagerie‘Activité d	نشاط تصويري
Actualisation	تحيين
Aide cognitive	مساعدة معرفية
Amorçage	إشغال
Analogique	تماثلي
Ancrage	انغراس
Anticipation	توقع
Appariement	إقران
Apprendre à apprendre	تعلم التعلم
Archétype mental	نمط ذهني أصلي
Architecture cognitive	هندسة معرفية
Assimilation	استيعاب
Attribution	إسناد
Autocontrôle	مراقبة ذاتية
Autorégulation	تضبيط ذاتي
C	
Carte cognitive	خارطة معرفية
Catégorie	فئة
Catégorisation	تفييء
Charge mentale	شحنة ذهنية
Co-construction	بناء مشترك
Codage	ترميز
Cognitif	معرفي
Cognition	معرفية
Cognitiviste	معرفاني
Communication	تواصل
Compétence	كفاءة
Compilation	تجميع
Componentiel	مكوني
Computationnel	حاسوبي

رغم كل الصعوبات والإكراهات المجتمعية والمعرفية فإن مستوى البحث والتأليف السيكولوجي يتطور عندنا في الاتجاه الإيجابي؛

أن وضعية علم النفس في الجامعة المغربية لا تتميز بالاتساق والانسجام. وهذا أمر لا يبعث على أدنى قلق، بل على العكس من ذلك فهو يعتبر مؤشرا إيجابيا لأنه يجسد تنوع المرجعيات والمدارس

إن تعريب علم النفس في المغرب قد استدعى بالضرورة الاستعانة بنخبة من الأساتذة ذوي الكفاءات العليا بغية الاستفادة من خبراتهم وممارساتهم في التدريس والتكوين والتأطير

Conceptualisation	مَفهمة
Conflit cognitif	صراع معرفي
Connexionnisme	اقترانية
Contrainte	إكراه
D	
Décalage	تفاوت
Différenciation	تمايز
Dispositif	عُدة
E	
Equilibration	توزين (إيجاد التوازن)
Equilibre	توازن
Espace-problème	مجال- مسألة
F	
Figuratif	تصويري
Fonctionnement	اشتغال
Formalisation	صورنة
H	
Habillage	إلباس
Heuristique	استكشافي
I	
Image mentale	صورة ذهنية
Indice	مؤشر
Inférence	استدلال
Information	معلومة
Input	مُدخل
Insertion	إدماج
Intégration	دمج
Intentionnalité	قصدية
M	
Médiateur	وسيط
Mémoire de travail	ذاكرة الاشتغال أوالعمل
Métacognition	مطامعرفية(وعي معرفي)
Métalinguistique	مطالسانية(وعي لساني)
Mobilité mentale	حركية ذهنية

الحقيقة أن هؤلاء ساهموا بفعالية كبيرة في تكوين أطر وطنية أصبحت حاليا تتحمل مسؤولية تدريس علم النفس باللغة العربية في كليتي آداب الرباط وفاس بشكل خاص

أن علم النفس تربطه علاقات متينة مع علم الاجتماع والانتروبولوجيا، حيث لا يمكن أن ننكر الاستفادة المتبادلة بينهما من ناحية تداول المصطلح

Modélisation	نمذجة
Module	وحدة – قالب
Motivation	حافزية
O	
Opérateur	فاعل
Opératif	عملياتي
Opération	عملية
Opérationnel	إجرائي
Opératoire	عملياتي
Output	مُخرج
P	
Paradigme	براديغم
Pédagogie cognitive	بيداغوجيا معرفية
Pilotage de l’apprentissage	قيادة التعلم
Problème	مسألة
Procédure	إجراء
Processus	سيرورة
Programmation	برمجة
Prothèse cognitive	تعويض معرفي
Prototype	نمط أصلي
R	
Régulation	تضبيط
Remédiation	علاج
Répertoire cognitif	سجل معرفي
Représentation	تمثل
Résolution de problèmes	حل المشكلات
Réversibilité	معكوسية
S	
Savoir-faire	مهارة
Schème	أخطوط– شيم
Signe	علامة
Similarité	مماثلة
Simulation	تقييس (تمثيل، محاكاة اصطناعية)
Situationnel	وضعياتي

عرف علم النفس أيضا خلال العقود الثلاثة الأخيرة طفرة تتمثل في ظهور وهيمنة الاتجاه المعرفي الذي يعتبر نقطة التقاء لمجموعة من العلوم المعاصرة كاللسانيات وعلوم الأعصاب والمعلوميات والمنطق وفلسفة الذهن...

وجود فرق بين معرفة connaissance ومعرفية cognition، بحيث أنه إذا كانت الأولى تعني ما يمتلكه شخص ما من معارف فإن الثانية تعني وخاصة في مدلولها السيكولوجي فعل المعرفة أي كل نشاط ذهني يقوم به المتعلم في اتجاه اكتساب المعارف

تخزين	Stockage
استراتيجية	Stratégie
بنينة	Structuration
أسلوب معرفي	Style cognitif
رمز	Symbole
نظام خبير	Système expert
T	
مهمة	Tâche
صنافة	Taxonomie
معالجة المعلومات	Traitement de l'information
توجيه وإرشاد	Tutorat
نمطية	Typicalité

كلمة "معرفية" تعبر عن القصدية والاشتغال الذهني، عكس كلمة "معرفة" التي تعني المعرفة الجاهزة.

4. تجربة تعريب علم النفس بالمغرب نموذج يحتذى

بعد تقديم نماذج من المصطلحات التي يستخدمها مدرسو علم النفس والتي توضح بجلاء مدى ارتباط السيكولوجيا الحديثة بالعلوم الدقيقة ننتقل إلى عرض عينة من تلك النماذج لنقف على ما يبذله هؤلاء من جهد في المجالات التالية:

استيعاب المصطلح في لغته الأصلية

البحث عن أصوله اللغوية

التنقيب عما يقابله في اللغة العربية

وإذا لم يتوفر ذلك يتم اللجوء إلى عملية الاشتقاق والتوليد والنحت

وفي حالة تعذر ذلك لا نرى مانعا من تعريب المصطلح مع مراعاة سهولة نطقه وتداوله

وفيما يلي عرض لبعض نماذج المصطلحات التي توضح واقع هذا المجهود:

إن مصطلح "تمثل représentation" شائع الاستخدام في العلوم الإنسانية وخاصة في علم النفس الذي يدل فيه على الكيانات الذهنية التي تماثل أو تعوض أشياء العالم الخارجي

–تكويني Génétique

إن اختيار مصطلح "تكويني" عوض "نمائي" أو "ارتقائي" كما نجد في بعض الترجمات مبني على ضرورة التمييز بين مقاصد علم النفس الارتقائي وبين ما تهدف إليه السيكولوجيا التكوينية. وبالفعل فقد أزال بياجي كل التباس حول هذه المسألة عندما أكد أن علم النفس التكويني يبحث في نمو وتطور العمليات الذهنية بدءا من أصولها البيولوجية. فهذه الأخيرة هي التي تدعو إلى تفضيل مصطلح "تكويني génétique" على "نمائي développement"، وهي نفس الأصول التي دفعت البعض إلى ترجمة génétique بوراثي؛وهذا شائع فقط في بعض القواميس غير المتخصصة عكس ما تؤكده معاجم علم النفس بلغاتها المختلفة، حيث نجد أن تكويني تفيد في الاصطلاح السيكولوجي التطور، أي الانتقال من عدم الاكتمال إلى الاكتمال أو من الحالات الأولية إلى الحالات النهائية عبر مسار النمو الذهني.

– معرفية cognition

الملاحظ أن مصطلح "معرفية cognition" لا تتداوله حاليا إلا فئة جد محدودة من المتخصصين في علم النفس والعلوم المعرفية عامة. وقد يتبادر إلى الذهن أن عدم انتشار هذا المصطلح في استعماله العربي يرجع إلى أن معرفية قد تكون نسبة للمعرفة connaissance.

غير أن ما تجدر الإشارة إليه في هذا الصدد هو وجود فرق بين معرفة connaissance ومعرفية cognition، بحيث أنه إذا كانت الأولى تعني ما يمتلكه شخص ما من معارف فإن الثانية تعني وخاصة في مدلولها السيكولوجي فعل المعرفة أي كل نشاط ذهني يقوم به المتعلم في اتجاه اكتساب المعارف. وعلى عكس ما هو متداول في بعض المعاجم السيكولوجية التي لا تميز بين كلمتي "معرفة" و"معرفية" فإننا لا نرى مبررا مقنعا لعدم التمييز هذا، خاصة وأن كلمة "معرفية" تعبر عن القصدية والاشتغال الذهني، عكس كلمة "معرفة" التي تعني المعرفة الجاهزة.

- تمثل représentation

إن مصطلح "تمثل représentation" شائع الاستخدام في العلوم الإنسانية وخاصة في علم النفس الذي يدل فيه على الكيانات الذهنية التي تماثل أو تعوض أشياء العالم الخارجي. وهو قد يتجلى من الناحية السيكولوجية في مجموع الأنشطة التي يمارسها الذهن على مكونات العالم الخارجي في غيابها، حيث قد يأخذ أشكالا متنوعة تتمظهر أساسا في الصور الذهنية والرموز والمفاهيم. وعلى هذا الأساس نفضل تحديد مقابله في اللغة العربية في كلمة "تمثل" عوض "الاستحضار أو الاستيعاب أو التصور" أو غيرها من المقابلات الشائعة في بعض الترجمات العربية.

كخلاصة جوهرية لهذه الدراسة، وبناء على مساهمتنا في تجربة تدريس علم النفس باللغة العربية ومشاركتنا في مسار البحث في مشكلاته وقضاياه، نرى ضرورة التنبيه إلى أن مشكل تعريب ما يسمى عندنا بالعلوم الدقيقة لا يكمن أساسا في ترجمة المصطلحات العلمية ووضعها باللغة العربية، بل يتجسد بالدرجة الأولى في عدم وجود الرغبة اللازمة لدى المدرسين الذين يلقنون تلك العلوم في بذل المجهود المطلوب للمساهمة في إتمام مسيرة تجربة التعريب في المغرب.

إننا لا نرى ما يمنع من إنجاز وإتمام تلك التجربة وبخاصة إذا كنا نعلم أن مدرسي العلوم الإنسانية في الجامعة المغربية ينهلون أغلب معارفهم ويستلهمون أهم مفاهيمهم ويقتبسون أبرز أدواتهم من مصادر ومراجع أجنبية. ولهذا نعتقد أنه يكفي لمدرسي العلوم الدقيقة أن يبذلوا بعض الجهد لممارسة التلقين والبحث باللغة العربية. فأملنا أن يحذوا حذوَ زملائهم المتخصصين في العوم الإنسانية وبخاصة في علم النفس لاتخاذ العربية لغة أساسية للتدريس.

أن مشكل تعريب ما يسمى عندنا بالعلوم الدقيقة لا يكمن أساسا في ترجمة المصطلحات العلمية ووضعها باللغة العربية، بل يتجسد بالدرجة الأولى في عدم وجود الرغبة اللازمة لدى المدرسين الذين يلقنون تلك العلوم في بذل المجهود المطلوب للمساهمة في إتمام مسيرة تجربة التعريب في المغرب

نعتقد أنه يكفي لمدرسي العلوم الدقيقة أن يبذلوا بعض الجهد لممارسة التلقين والبحث باللغة العربية. فأملنا أن يحذوا حذوَ زملائهم المتخصصين في العوم الإنسانية وبخاصة في علم النفس لاتخاذ العربية لغة أساسية للتدريس

المراجع والهوامش

حرشاو (1998). واقع البحث السيكولوجي في المغرب: العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط، (منشورات مركز العلوم الإنسانية والاجتماعية).

ر الفاسي الفهري (1998). المقاربة والتخطيط في البحث اللساني العربي، الدار البيضاء، دار توبقال.

يز بن عبد الله (1997). مشكل التعريب بالمغرب، أبحاث لسانية، المجلد 2، العدد: 1، أبريل.

العروي (1983). ثقافتنا في ضوء التاريخ، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي.

بيع (1998). مجالات علم النفس بالمغرب، في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الرباط.

وزي حمد (1985). اتخاذ العربية لغة لتدريس العلوم في التعليم العالي، اللسان العربي،العدد: 24.

اصـــــدارات " شبكـــــة العلـــــوم النفسيـــــة العربيـــــــة "

اصـــــدارات محمية بكلمـــــة عبـــــور للمشتركيـــن

المجلـــــة العربيـــــة للعلـــــوم النفسيـــــة (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm
*** ***

الكتـــــاب العربـــــي للعلوم النفسية (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm
*** ***

المعجـــــم الموســـــع للعلـــــوم النفسيـــــة (اصدار فضي)

http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Ar.htm
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.htm
http://www.arabpsynet.com/HomePage/Psy-Dict.Fr.htm
*** ***

المعجـــــم المختص للعلـــــوم النفسيـــــة (اصدار فضي)

المعجم المختص في علم النفس الجنسي
الإصدار العربي
(عربي - إنكليزي - فرنسي)
http://arabpsynet.com/AlMukhtass/index.ALMukhtass.htm

اصـــــدارات " شبكـــــة العلـــــوم النفسيـــــة العربيـــــــة "

اصـــــدارات التحميـــــل الحـــــر (غير محمية بكلمة عبور)

مجلـــــة "بصائـــــر نفسيـــــة" (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

*** ***

سلسلـــــة اصدارات " وفي انفسكم " (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/apneBooks/index.eBooks.htm

*** ***

سلسلـــــة اصدارات " الراسخون "
اصدار لجنة التـــــراث النفســـــي العرباسلامـــــي
http://www.arabpsynet.com/TourathPsy/index.TourathPsy.htm

*** ***

سلسلـــــة "الكتـــــابالابيـــــض" للعلـــــوم النفسيـــــة العربيـــــة (اصدار سنوي)
www.arabpsynet.com/WhiteBooks/eWBIndex.htm

*** ***

سلسلـــــة اصـــــدارات "الإنســـــان والتطـــــور" حســـــب المحـــــاور
http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/IndexRakAr.htm

*** ***

المعجـــــم الوجيـــــز للعلـــــوم النفسيـــــة (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Ar.htm
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Fr.htm
http://www.arabpsynet.com/eDictBooks/IndexDictBook-Eng.htm

*** ***

سلسلـــــة اصـــــدارات "و ماسواهـــــــــــــا (اصدار فضي)
http://www.arabpsynet.com/Samarrai/IndexSamarrai.htm